حوار

أجراه: محمد حمزة غنايم

يوسي بيلين، في حوار شامل:

.. وإذا حانت لحظة الحقيقة

يرتبط اسم الدكتور يوسي بيلين، الشخصية السياسية الاسرائيلية المعروفة وأحد قادة حزب «العمل» البارزين، بسلسلة من المفاصل التاريخية اللافتة للنظر في السياسة الخارجية الاسرائيلية، وفي سياق الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني على وجه الخصوص.

في هذه الايام، يتابع بيلين من موقعه المتقدم على الخريطة السياسية، ما آل اليه مسار اوسلو من وضع حرج، وما تلاه من مواجهات عنيفة بين طرفي العملية السياسية، ويشهد على نفسه انه، كرجل سلام بارز، «مكتئب وحزين»، بل يستشعر مثل هذه الحالة لدى نظرائه من الاعضاء القياديين في الوفد الفلسطيني المفاوض. فهو يرى صرحا كبيرا كان من اوائل واضعي لبناته الاولى، ينهار امام عينيه، وفكرة نبتت في ارضية الايمان العميق بضرورة السلام بين شعوب المنطقة، تذوي وتتراجع.

وفي ضوء الصدامات الدامية التي احاقت بالمسيرة المنقطعة، وفي موازاة ما يتردد في اسرائيل اليوم من مقولات متلاحقة حول اختفاء «الشريك الفلسطيني» – الذي تحول في عرف هذه المقولات المزعجة الى «عدو» – يواصل بيلين التمسك بقناعته الراسخة بأن القيادة الفلسطينية التي بدأت مشوار الحل التاريخي للصراع مع حزب «العمل» ومعسكر السلام في اسرائيل، ما تزال مؤمنة بالنهج، وانها الشريك الفلسطيني الوحيد في عملية صنع السلام.

ولدى بيلين مختلف التفسيرات لما يحدث الان، بعد صعود شارون للحكم، وهو لا يحاول اخفاء تحفظاته من جلوس حزبه في حكومة وحدة وطنية برئاسة ارئيل شارون، ويرى في ذلك «شرا لا بد منه»، ويؤكد، في حوار مطول معه جرى اواخر حزيران بمكتبه في تل ابيب، على ان الشراكة مع «الليكود» الآن ضمن هذه الحكومة ترمي لأن تكون «صمام امان» امام احتمالات العقلية المغامرة التي يتميز بها شارون.

وبيلين هو «عدو» المستوطنين الاول، الذي يقضي برنامجه السياسي بازالة اكثر من مائة مستوطنة من اراضي الدولة الفلسطينية، لذلك تواصل

قوى اليمين المتطرف اتهامه بأنه من «مجرمي اوسلو»، كونه من ابرز المبادرين لهذا المسار، وها هو يرى كيف ان العملية السياسية تتداعى فوقه، ويتعمق الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين. انه يبدو لهذه الجماعات الاستيطانية القوموية «صاحب الكارثة»، ورمز الفشل، والمذنب الاول في الامر. وبكلمات آري شافيط عنه في «هآرتس» (٢٠٠١/٦/١٦) فهو «البطل السيء في مقالات التنديد السامة التي يصدرها المستوطنون، وهو المتهم الاكبر في ملصقات اليمين، وعدو الاجماع القومي العريض، الجديد، حول «آثام الفلسطينيين»، وحول «موت الشريك»، وحول مستقبل عملية السلام، دار الحوار مع يوسي بيلين في مكتبه في أواخر حزيران ٢٠٠١:

● **كيف يعمل رجل السلام الاسرائيلي في ظل القتل والعنف وانعدام الثقة المتبادل؟ كيف تؤثر عليه الاحداث من حوله، وهل يؤثر فيها؟**

– رجل السلام يقول لنفسه ان لكل انسان جانبين: الخير والشر، الايجاب والسلب. والظروف في الاساس هي ما يحفز الخير او الشر خارجاً. هناك عوامل اخرى بالطبع، مثل التربية والوعي وحتى «الكود الاخلاقي»، كلها تعلب دورا حاسما في تحديد الطريقة والاتجاه، مع ذلك فاننا نعرف ان هناك ظروفا يخرج فيها الناس عن اطوارهم، ويأخذون بالتصرف مثل الحيوانات، وهناك اوضاع تجد الناس فيها مستعدين للتخلي عن المال والوقت في صالح الاخرين، وهناك اكثر من مجرد سلوك جماعي في هذا السياق. افكر كثيرا بالناس الذين يتصرفون كالحيوانات. في العالم الواسع، وكذلك في منطقتنا. في عملية «التنكيل بالجنديين» في رام الله. افترض ان معظم الاشخاص الذين كانوا في «عملية التنكيل» في رام الله هم اناس طبيعيون، وفي ظروف اخرى يمكنهم ان يبكوا لو رأوا متسولا يطلب منهم صدقة، او طفلا يتيما، يهوديا كان ام عربيا. يبدو انه في لحظة معينة يقع امر ما، فيجد المرء نفسه يقوم باخراج ما بداخله عندما ينضم الى حلقة الاخرين، وبضمنه الشر ايضا. فجأة تصبح شخصا اخر، لم تكن تعرفه من قبل. افترض ان هؤلاء الناس قد يسألون انفسهم بعد سنوات: هل كنت انا ذلك الشخص حقا، الذي شارك في التنكيل؟! والاجابة هي نعم، فقد كنت انت ذلك الشخص، ولكنك كنت شخصا اخر عندما فعلت ذلك. في ضوء ذلك، اعتقد ان دور رجال السلام هو اخراج الخير الذي في الناس، وتعزيز رغبتهم بالعيش سوية مع اناس اخرين، وادراك ان الفرصة الوحيدة المتوفرة للانسان للنجاح في اطار فردي او جماعي تتوفر عندما تتوفر للاخر فرصته ايضا. اي ان هذا الاحساس بأنك قد تكون انسانا سعيدا بينما محيطك القريب يعاني، هو امر جنوني، وغير حقيقي، واذا كان يحدث فهو مؤقت جدا. لا يمكن ان يكون على المدى البعيد. اعتقد ان ما حدث لنا امر خطير للغاية: الذهاب نحو السلام من جهة، والانتفاضة من الجهة الاخرى. والوحدة الوطنية في كل جانب، وتقوي المتطرفين الذين يقولون: قلنا لكم باستمرار انه لا يمكن الاعتماد على اليهود / لا يمكن الاعتماد على العرب، وغير ذلك من هذه الترهات. ذلك يبدو جادا، الى حد ان الناس مستعدون لسماع هذه

«سيندروم الحنين لكرسي العجلات»

لسنا جاهزين للسلام. لقد اعتدنا انعدام السلام والخطر المتواصل الى حد انه سيكون علينا اعتياد الوضع الجديد. يمكن تشبيه الوضع بمن مر بحادث طرق واضطر الى استخدام كرسي عجلات لسنوات طويلة. وذات يوم يمر بعملية جراحية تمكنه من العودة للمشي من جديد، لكن بعد ان ينهض من المقعد ويخطو اولى خطواته يعاود البحث عن كرسيّه، الذي اعتاد طويلا الجلوس عليه. في هذه اللحظة يخيل له ان الافضل لراحته الجلوس على الكرسي لا الوقوف على رجليه، وهو بحاجة لفترة انتقالية لكي يعتاد المشي من جديد والوثوق بنفسه.

نحن، الاجيال المولودة في هذه البلاد، لا نعرف ما هو السلام، بكل بساطة. ويصل العبث اوجه عندما نجد ان هناك من يخاف عملية السلام، لئلا تقلص محفزات الجيل الشاب على خوض الحرب القادمة... هذا بالضبط هو «سيندروم» التشوق لكرسي العجلات. سنضطر لمجابهة مشاكل اسهم الوضع الامني في تسهيل مهمة كافة المؤسسات كنسها تحت السجادة، لكن اكثر هذه المشاكل حدة التي سنجابهها في المستقبل هي: هل سيكون للمجتمع الاسرائيلي رسالة، بعد ان تكون مشكلة وجوده بحد ذاته قد تخلت عن مركزيتها في اجندته؟»

(يوسي بيلين، من كتابه «ملامسة السلام»، تل ابيب ١٩٩٧)

الترهات كما لو كانت نوعا من «حكمة الحياة». اعتقد ان ذلك مؤقت، وان اشخاصا مثلي قادرون على الاسهام في جعل ذلك مؤقتا، وذلك لا يتم بالجلوس في البيت وانتظار انتهاء ذلك، بل ببذل كل ما بمقدورهم حتى نتجاوزه.

● **هل يفاجئك حجم العنف المتبادل، في مرحلة كان من المفترض ان تشهد بداية تطبيق «الحل الدائم» وقيام الدولة الفلسطينية والاعلان عن «نهاية الصراع»؟**

– لم يخطر ببالي ابدا اننا محصنون ضد شيء كهذا. لأنني ادركت كل الوقت اننا نسير فوق طبقة جليد دقيقة. لم يساورني ابدا اي احساس بأننا امام وضع مستقر لا يمكن تحطيمه. وكانت هناك نماذج وحالات، مثل صدامات «النفق» واحداث ما يسمى بـ «يوم النكبة»، كادت تفجر المسيرة كلها، وفي كل مرة كانت الاوضاع بالتالي تسترد شيئا من طبيعيتها. كذلك الحال بالنسبة للانتفاضة، التي ارى انها لم تندلع جراء تخطيط مسبق. لكن خطأ القيادة الفلسطينية هنا انها لم تبذل كل ما تستطيع كما فعلت في احداث «يوم النكبة» او في احداث «النفق»، لانهاء التوتر سريعا. يبدو ان ياسر عرفات احس في مرحلة معينة ان ذلك يخدمه، كذلك فانها كانت موجة اقوى بكثير مما كان سابقا. تراكم في الجانب الفلسطيني ما يكفي من الغضب لكي يغذّي الانتفاضة... غضب قوي جدا. بعضه موجه نحو السلطة الفلسطينية وليس نحونا فقط. اجتمعت هذه الامور معا، واندلعت الشرارة بزيارة شارون الى منطقة المساجد في الحرم القدسي، لكنها الشرارة التي اوصلت في نهاية المطاف الى انتصار شارون (في انتخابات ٢٠٠١/٢/٦)، وهي حقا مفارقة تاريخية مريعة ومذهلة. اعتقد ان السؤال ليس الى اي حد فاجأنا ذلك، ومن المؤكد اننا لم نتوقع ذلك، وبخاصة بعد ان كنا قريبين من السلام. وربما بعد ان اقتربنا كثيرا من الاعصاب الحساسة جدا في الصراع في القضايا التي لم تطرح سابقا، كالقدس واللاجئين والمستوطنات، التي كان لا بد لنا من الخوض فيها. لعل هذه القضايا انكشفت لمزيد من الحساسية، خلافا لما اعتقدناه سابقا. مع ذلك، لا اعتقد ان العنف هو امر يمكننا العيش في ظله كل الوقت، بل يجب ان يعني لنا ضرورة وامكانية العودة الى مائدة المفاوضات، والعودة للبحث في حلول لهذه المواضيع، والى ما انتهينا عنده في طابا، والاستمرار من هناك.

شركاء، لا «اعداء»، في الجانب الفلسطيني

● **لكن المفاوضات مجمدة الآن، بعدما تكشفت «عقدة الموضوعات المؤجلة» كالقدس واللاجئين والمستوطنات، وهو ما ادى الى انعدام الثقة لدى الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني، وجعل «العنف» سيد الموقف. لذلك أسألك: من اين تستمد الثقة بأن النزاع قابل للحل؟ هناك من يقول ان عملية السلام كما تصورتها اوسلو فشلت، وان الحل الدائم متروك للاجيال. في اليمين يقولون ذلك، وفي اليسار ايضا، الصهيوني والراديكالي على حد سواء..**

– اعتقد ان الصراع قابل للحل لان هناك لدى الجانبين اشخاصا طبيعيين يريدون ان يعيشوا حياة طبيعية، وقد دفعوا ثمنا ليس بقليل لجعل هذا الصراع قابلا للحل. لا اعتقد انهم سيوافقون بسهولة على التخلي عن فرص العيش الطبيعي هذا. لو كانت عقدة الحل مستعصية، لكان ذلك يعني ان الفلسطينيين والاسرائيليين سيضطرون للعيش سنوات طويلة اخرى لا بد لها ان تشهد سقوط المزيد من الضحايا البشرية يوميا. ولست واثقا ان هناك شعوبا عادية كثيرة مستعدة لأن تحيا حياة كهذه. صعب ان اصدق ان الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني هما غير طبيعيين ليتواصل القتل المتبادل كل الوقت. هذا ما يمنحني القوة لكي اواصل الاحتفاظ بايماني بأن الصراع

«. . . الشريك الفلسطيني موجود»

قابل للحل. لا اعتقد ان هؤلاء الاشخاص الذين تربطنا بهم علاقات متشعبة تعود الى مطلع التسعينات اصبحوا فجأة اعداء لنا. لست مستعدا لقبول ان ابو مازن، ابو علاء، نبيل شعث، ياسر عبد ربه، صائب عريقات واخرين صاروا فجأة اعداءنا! لدى هؤلاء الاشخاص حدثت تغييرات ايديولوجية مع السنين، وتوصلوا الى استنتاجات غير قابلة للنقض. اعتقد انهم اليوم في حالة حزن، كما هو الحال عندي، انهم ليسوا سعداء اليوم، ويبحثون عن طرق لتجاوز الوضع الحالي، تماما مثلي. امر اضافي آخر يعطيني القوة هو اعتقادي بأن الحل موجود، بموجب خطة كلينتون، التي قبلها الطرفان، وإن كان ذلك مع تحفظات معينة. هذا هو الحل، وهو ممكن، وعملي، مع انه ليس بالضبط ما حلمنا به، في الجانبين. لكنه الحل الاول في التاريخ الذي قبله الطرفان بصورة رسمية. شخصيا، ما كنت لأتخلى بسهولة عن هذه الموافقة.

● **ماذا حدث اذن حتى تضيع هذه الفرصة للتوصل الى حل؟ هل الشكل النهائي للحل هو ما فاجأ واخاف الاطراف في كامب ديفيد وطابا؟ وحقا، هذه فرصة للسؤال: هل كانت هناك اسباب اخرى خفية، غير ما نعرفه نحن، ما ادى الى «انفجار ٢٨/٩/٢٠٠٠"؟**

– هناك فرق بين ما حدث في كامب ديفيد وما حدث في طابا؛ ففي طابا توصلنا الى تلخيصات، ولكن في الساعة الخامسة والعشرين. كان ذلك بعد ان انهى كلينتون مهام عمله في البيت الابيض. وبعد ان كانت الانتخابات في اسرائيل على بعد ياردات قليلة منا. كان التوصل الى اتفاق في طابا غير ممكن من الناحية الاسرائيلية ايضا، لذلك فان طابا انتهت حيث انتهت، بالتزام الطرفين بالعودة الى مائدة المفاوضات، بعد الانتخابات في اسرائيل وكذلك الانتخابات في الولايات المتحدة. لذلك لا اعتقد ان محادثات طابا اوصلت الى انفجار. بل شهدت نوعا من النجاح. الى جانب ذلك، اريد ان اؤكد لك ان الاتصالات بين الطرفين لم تتوقف، حتى في زمن الانتفاضة. لم نقل اننا سنتوقف حتى تتوقف آخر طلقة في المناطق ومن ثم نعاود التفاوض. واصلنا التحادث كل الوقت. اعتقد ان اندلاع الانتفاضة كان الامر الاصعب، اذ سيكون من الصعب انهاؤها. بعد اتفاق شرم الشيخ – وكان ذلك في اكتوبر ٢٠٠٠ – توقعنا انهاء كل شيء خلال عدة اسابيع. او على الاقل محاولة ذلك، والعودة فورا الى المحادثات. لكن ذلك لم يحدث. لأن محادثات طابا جرت متأخرة كثيرا. الشيء الوحيد الجيد الذي حدث اثناء الانتفاضة – لا بسببها بل على الرغم منها – كان خطة كلينتون. لا اعتقد ان احدا من الاطراف، عندما سيجلس للتفاوض، ربما بعد اربعة شهور او اربع سنين – سيقترح شيئا آخر غير خطة كلنتون. هذه خطة امريكية موجودة، وإن لم تكن مُرضية للطرف الفلسطيني او الاسرائيلي. في نهاية المطاف لن يكون مناص من قبولها، فهي خطة حكيمة ومتوازنة، تسمح للطرفين بالعيش باحترام، رغم ما يعتورها من ألم وصعوبة.

● **في مقابلة صحفية مع آري شافيط من جريدة «هآرتس» (الملحق الاسبوعي، ١٥/٦/٢٠٠١) عددت سلسلة من الاخطاء، لدى الطرفين، ادت الى ما نحن فيه الآن: خطأ القبول باتفاقات مرحلية من خمس سنوات، وخطأ في تقدير ما تصفه بأنه حجم التحريض الفلسطيني خلال الازمات، وخطأ في الاستسلام لـ «نشوى» السلام الذي أصبح في الزاوية، وتجاهل وجود مشكلة المستوطنات، والصمت على ازدياد عدد المستوطنين فيها..**

– مع ذلك لا اعتقد انه يمكن اتهام طرف واحد بالمسؤولية عما وصلنا اليه. انا انتقائي هنا بطبيعة الحال، لأنني في الجانب الاسرائيلي. لنتذكر ان اسرائيل بادرت الى اوسلو، وقد امكن للمحادثات ان تستمر في مدريد، في اطار اردني – فلسطيني، لسنوات. لكننا رغبنا بتقصير الطريق. كذلك فان

في ظل هذه التقلبات العاصفة والدامية، والجنوح الاسرائيلي الجارف نحو اليمين، كما تمثل في انتخابات شباط الماضي، وما حملته نتائجها من دلالات على عملية التسوية السياسية، كان معه هذا الحوار.

الجانب الاسرائيلي كان قد بادر الى الخطوة التي اوصلت الى «اتفاق بيلين – ابو مازن»، وقد كنت شخصيا راغبا بالذهاب مباشرة الى اتفاق دائم، وكان الفلسطينيون اول من قال ان ذلك غير ممكن، وانه لن يتأتى بسهولة.

«التحريض ... نوع من الادانة الذاتية»

× «تفاهمات بيلين – ابو مازن» ليست شيئا مركزيا في الخطاب التفاوضي الفلسطيني الحالي. لا يشار اليها كثيرا على الساحة الفلسطينية..

– اذا كان الفلسطينيون يتجاهلون هذه التفاهمات، فذلك جزء من الموضوع، اعتبره نوعا من الضعف الفلسطيني. لعل ذلك عائد الى مضمونها، فهي مؤلمة هنا ومريحة هناك، بالنسبة للجانبين على السواء.

● يمكن ان نتخيل ان الحرج ناجم عن القضايا المؤجلة، والتي بحثت لأول مرة في كامب ديفيد من العام الفين. «الكتل الاستيطانية»، مثلا..

– مسألة المستوطنات بحثت في كامب ديفيد، وقد كانت هناك موافقة فلسطينية شكلية على اطار للحل. ومع ان ذلك تم بموجب خطة كلينتون، الا ان المصدر كان تفاهمات بيلين – ابو مازن. هذه التفاهمات ايضا هي مصدر التفاهم المبدئي حول تبادل الاراضي بين اسرائيل وفلسطين. لا بد من الاشارة الى «ابو مازن» وافق على مبدأ العودة الى حدود الرابع من حزيران ٦٧، مع تعديلات هنا وهناك. كذلك الحال بالنسبة لمنطقة الحرم القدسي، وهي تفاهمات مؤلمة بالنسبة للاسرائيليين ايضا. رغم ذلك كله اقول: لا شك اننا ازاء اخطاء اسرائيلية هنا، الى جانب اخطاء او ضعف في الجانب الفلسطيني. لا بد من القول ان موضوع التحريض من اصعب الامور المستعصية على الفهم لدينا. يمكنني ان افهم مثلا ان الجانب الفلسطيني بلا دولة، وقدرته على بسط السلطة على مختلف الفئات الفلسطينية اقل. كذلك فان القدرة على العمل في مواجهة «حماس» ليست سهلة. فذلك يتم في مواجهة الاخوة، وهو امر صعب بالتأكيد. وحتى لو كانت هناك اشياء يصعب علي قبولها، فانه يمكنني ان افهمها. لكن المشكلة ان التحريض لا يتم في اطار صحافة معارضة او عبر شعارات على الجدران، بل في الاعلام الفلسطيني الرسمي. هذا امر لا مثيل له في اسرائيل..

● لدى الفلسطينيين عناوين تحريض يهودية كثيرة، يمكنهم دائما العودة اليها. خذ اذاعة المستوطنين «القناة السابعة»، التي تبث من مستوطنة بيت ايل المقامة على اراضي البيرة..

– لكن «القناة السابعة» غير رسمية، وشبه «سرية». مع انك ستقول لي انها تتمتع من المجال الحيوي للعيش لذي يوفره لها شارون. وذلك صحيح. لكن هناك فرقا بين قناة غير قانونية تقف السلطة بمواجهتها او ليست متماثلة معها على الاقل، وبين اذاعة وتلفزيون رسميين. يصعب ان افهم لماذا لا تفعل السلطة الفلسطينية شيئا في هذا الامر. هناك فرق بين مقال يكتبه صحفي، وبين من يستخدم اولادا يظهرون في التلفزيون الرسمي ليقوم بتعليمهم كراهية اسرائيل على الملأ. اعترف ان ذلك صعب على الفهم. ربما لو كنت هناك لفهمت. لا يمكنني ان اتصور كيف سأفعل ذلك، ولعلني في ظروف معينة ومزاج معين كنت سأفهم، لو شرح احدهم لي ذلك. حاليا، ما زلت اعتقد ان التحريض نوعاً من «الادانة الذاتية».

● لعل «التحريض» لم يبدأ مع الاحداث الاخيرة، وفي الجانب الاسرائيلي بالاساس. هناك من يضع اللائمة على الجانبين، كونهما كانا مقصرين في التثقيف على اسس ومبادىء السلام، رغم العقبات التي اعترضت الطريق وما تزال...

– هذا صحيح. التحريض لم يبدأ في انتفاضة الاقصى. بالنسبة لاسرائيل، يمكنني التنويه بخطة للتربية من اجل السلام، بدأناها عندنا مباشرة بعد توقيع الاتفاقات المرحلية. نظمنا دورات مطولة للمعلمين والمربين اليهود، للمجادلة في الموضوع، ولاطلاعهم على اهمية المسيرة التي ابتدأت مع الشعب الفلسطيني. ربما لم يُبذَل الكثير في هذا المجال، بل اقول اننا لم نفعل في اسرائيل ما يكفي في موضوع التربية على قيم السلام. مع ذلك يظل هناك فرق بين انعدام التربية للسلام والتحريض ضد الطرف الثاني، وبخاصة بعد ان توصلنا الى تسويات. هنا اعترف لك ان خطأي الشخصي انني لم اعط هذه الامور الاهمية الكافية، واعتقدت ان امورا كهذه لن تحدث بعد ان يحل السلام. ما حدث في هذه الاثناء ان الناس انتجت سما

متظاهرون يمينيون ضد عملية السلام

واستهلكته، لم تكن هناك اجتهادات مختلفة مع او ضد في المجتمع الفلسطيني، بل مشاركة الجميع في التحريض، الذي اعاد حقا الى الاذهان اياما اخرى سابقة. عندما سنضطر للعودة الى مائدة المفاوضات، ويكون على الفلسطينيين ان يشرحوا للرأي العام لديهم ليس فقط ما اخذوه، بل ما دفعوه ايضا، سيجابههم الرأي العام بالقول: ماذا، هل انتم مجانين؟ هل دفعتم هذا الثمن لليهود؟ هل انتم جادون؟ انكم من حذّرنا كل الوقت من هؤلاء الاشخاص، وانه محظور علينا ان نثق بهم، هل تؤمنون بأنهم سيكتفون بما تعطونه لهم ويكتفون؟

● هل تستشعر صعوبة ما لدى الجانب الفلسطيني في شرح حجم التضحيات المقدمة على «مذبح السلام»، للجمهور الفلسطيني المتعدد المشارب والاتجاهات؟

– هذا هو امتحان القدرة على القيادة. مع ذلك افترض انه يعاني من مشكلة هنا. تماما مثلنا. عندما تقول «لا» لهذا الثمن، تجد نفسك في حكومة وحدة وطنية متمتعا بدعم عريض، وعندما تقول «نعم» تكون متعلقا بحزب صغير، وتعاني من ضعف سياسي كبير. هنا تكمن العَظمة الحقيقية للقيادة، في عبور امتحان التمسك بمعتقداتك. رابين ايضا لم يتمتع باغلبية في الكنيست، كذلك باراك الذي فقد اغلبيته البرلمانية، لأنهم مضوا في طريق السلام، ولاننا ذهبنا الى كامب ديفيد وطابا لندفع. ومع ان الجمهور يريد السلام، لكن عندما يصل الامر الى الثمن الذي هو مستعد لدفعه، دائما ما يكون الامر اشكاليا، لدى الطرفين.

ثمن السلام في اسرائيل

● مسألة الثمن ما تزال تثقل على الجانبين، مع انه، بخطوطه العامة، كان واضحا، عندما واصل الطرفان الحديث عن حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ وعن الشرعية الدولية. كذلك فأن جميع الحلول التي طرحت على الساحة، منذ مشروع روجرز (١٩٧٠) مرورا بما تسميه «تفاهمات بيلين – ابو مازن»، وانتهاء بخطة كلينتون، متشابهة. والسؤال هو: لماذا يتأخر الحل، اذن؟

– اعتقد ان القيادة الاسرائيلية في الماضي لم تقبل ذلك، كما هو الحال مع شارون اليوم، فهو يرفض الحل بموجب هذه الحلول. اعتقد ان معظم الجمهور الاسرائيلي مستعد لقبول الحل بموجب خطة كلينتون، والسؤال الان هو: هل ستنهض قريبا قيادة اسرائيلية تكون مستعدة لخوض صراع على خطة كلنتون. ذلك، بالطبع، مشروط بأن تجد شريكك الفلسطيني في ذلك.

● بانتخاب شارون لرئاسة الحكومة في اسرائيل يوم ٢/٦ نشأ لدى الجمهور الفلسطيني انطباع آخر يقول شيئا مختلفا: ان معظم الاسرائيليين لا يوافقون على خطة كلينتون، وان هناك توجها لديهم لـ«معاقبة» الفلسطينيين على مواقفهم في كامب ديفيد وطابا .. هكذا يبدو لنا الامر، الان على الاقل.

– انتخاب شارون بنظري وبنظر اسرائيليين كثيرين يعكس مثل هذه الرغبة بمعاقبة الفلسطينيين: كأنهم يقولون: اذا لم تكونوا راغبين بباراك، فستحصلون على شارون. هذا الاحساس بالمعاقبة يساور اسرائيليين كثيرين، لكن العقاب لا يمكن ان يكون سياسة، واذا سألت الاسرائيليين في استطلاعات الرأي العام فسترى ان الاغلبية هناك مع السلام. مع ان المنطق يقول ان هناك تناقضا بين الرغبة بالسلام وتأييد شارون. عرفات شخصيا قال للاسرائيليين عودا الى استطلاعات الرأي العام لتتأكدوا كيف ان جمهوركم بغالبيته يريد السلام، وهذا صحيح بنظري.

● يقضي برنامجك السياسي بازالة مستوطنات بالعشرات تقع خارج كتل ارئيل غوش عصيون والقدس الاستيطانية. كيف تقيم حجم التحديات المترتبة على ازالة ما يقارب المائة مستوطنة يهودية بموجب هذا البرنامج (٤٠ الف مستوطن، كما تقول) في اوساط اليمين المتطرف؟ الا تخشى حركة ارهابية يهودية جديدة، لعلك توافقني انها تؤسس لنفسها في اللحظة التي يأخذ فيها المستوطنون القانون لأيديهم، كما يحدث اليوم في شوارع الضفة، وفي مناطق التماس والشوارع الالتفافية؟

– كل شيء قابل للحدوث، والسؤال هو هل بسبب ذلك تتخلى عن رغبتك في صنع السلام. وبطبيعة الحال فان الحل سيؤدي الى جدل كبير، وربما الى ما هو اكثر من جدل، والقضية هي: هل تردعك مثل هذه المخاوف. في احدى محادثاتي مع ياسر عرفات، قال لي «انني قد اتلقى رصاصة بالرأس

الجمهور الاسرائيلي مستعد لقبول الحل بموجب خطة كلينتون، والسؤال الان هو: هل ستنهض قريبا قيادة اسرائيلية تكون مستعدة لخوض صراع على خطة كلينتون.

عندما سأعود الى البيت». لا اذكر في اية قضية كان ذلك - الحرم الشريف ام قضية اللاجئين. وقد أجبت انني قد افهم لو كان ردك انك لا تستطيع قبول ذلك من الناحية المبدئية، امام ان اتراجع بسبب مخارف من رد فعل الشارع، فهو ما لا اقبله. كل من يرغب بصنع السلام، ينكشف لدرجة معينة من المخاطرة. ولا بد ان يأخذها بالحسبان.

● هل تعتقد ان الجمهور الاسرائيلي جاهز لبدء نقاش جاد وعميق وواسع في قضايا المستوطنات ومستقبلها، كجزء من ثمن هذا التطلع للسلام الذي تتحدث عنه؟

- بالتأكيد. لأن معظم الاسرائيليين لا يؤيد المستوطنات ولا يؤمن بأهميتها. لعله غير راغب بأن يتم اقتلاع الكتل الكبرى. هناك نظرة شخصية من جانبه نحو المستوطنين كإسرائيليين، لكنه لا يملك تعاطفاً حاراً نحو المستوطنات.

حل مشكلة القدس موجود: خطة كلينتون

● في مسألة القدس، واللاجئين، ما هي حدود الخيال الاسرائيلي؟

- اعتقد ان حل مسألة القدس موجود. وهو يقضي بأن تكون الاحياء العربية جزءا من الدولة الفلسطينية، والاحياء اليهودية جزءا من اسرائيل. هذا حل مقبول تقريبا على الطرفين. لا اقول انه متفق عليه، بل كنا قريبا جدا من ذلك، ففي النهاية لم يتفق على شيء بصيغة ملزمة. اعتقد ان الطرفين يعيشان مع هذا الحل، وهو حل شجاع، بعد سنوات قالوا فيها ان القدس لن تقسم. كان باراك جريئا تماما في ذلك. ستكون المشكلة في مسألة «الحوض المقدس». هنا لا بد من العثور على حل خلاق. اما ما عرضه كلينتون، والقاضي بتنفيذ القسمة هناك، واما في اطار دولي مؤقت على الاقل، يتولى المسؤولية عن هذه المنطقة بكاملها، وهو يبدو لي حضاريا اكثر، وعدم تقسيمه. بل اقامة نوع من الفاتيكان يكون «متجاوزاً للسيطرة الإقليمية للطرفين». لعل هذا هو الحل. بالنسبة لموضوع حق العودة، يجب ان يفهم الفلسطينيون ان اسرائيل لن تقبل ذلك. قرار ١٩٤ الصادر عن الامم المتحدة يتحدث عن ارادة العودة وليس حق العودة، الذي اعتبره تفسيرا فلسطينيا.

عن قضية اللاجئين

● تحدثت في مقابلتك مع «هآرتس» عن عودة مائة الف لاجيء الى داخل اسرائيل..

- لم اقل ذلك. لم اتحدث عن ارقام. بل اعارضها. اعتقد انه ليس من المنطق مطالبة اسرائيل اليوم انه بالاضافة الى دورها في بقية النقاط التي بنظري - قيام الدولة الفلسطينية هو تحقق لهذه الارادة. قبل عدة شهور قال لي قيادي فلسطيني بارز جدا انه بات واضحا خلال العقود الثلاثة الاخيرة انه منذ الموافقة في العام ١٩٧٤ على فكرة الدولتين، فان حق العودة يعني العودة الى الدولة الفلسطينية. لا اتخيل وضعا يصر فيه الفلسطينيون على دولة خاصة بهم، بينما يقومون بتحويل اللاجئين الى دولة اخرى. لا يوجد شيء من هذا القبيل في تاريخ الحركات القومية. من ناحية اسرائيلية، لا شك بأن احد اهم الدوافع لديهم للتوصل الى حل من خلال التنازل الاقليمي كامن في القضية الديموغرافية. والرغبة بضمان بقاء اسرائيل دولة ذات اغلبية يهودية. لا يمكن القول انه امر عنصري او غير اخلاقي او اننا نقوم بإخفائه. بالنسبة لانسان مثلي يعتبر نفسه مؤمنا بالصهيونية، ويعتقد انها حركة مؤمنة بالمساواة بين بني البشر - لذلك ايدت حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني كل الوقت، الى جانب اسرائيل - لا يمكنني ان اقبل بأن يكون بيد اللاجيء الفلسطيني الحق في ان يقرر ما اذا كان سيسكن في تل ابيب او حيفا. هذا هو الخط الاحمر بنظري. الى جانب ذلك فان مشكلة اللاجئين صعبة جدا، لا يمكنني تجاهلها او الغاؤها، ولا يمكنني المرور عليها مر الكرام. او القول انني لم اؤثر في ذلك. يمكن ان نجادل فيما اذا كان الخطأ الفلسطيني التاريخي كامن في عدم قبول التقسيم عام ١٩٤٧. يمكن القول ان جزءا من المشكلة هو ان القيادة الفلسطينية، خلافا لقسم من القيادات اليهودية، في بعض الاماكن، في حيفا على سبيل المثال، حاولوا منع خروج اللاجئين الفلسطينيين. مؤكد ان قسما كبيرا من اللاجئين خرجوا خوفا من اليهود، او تهديداتهم. ولا يمكنني ان اهرب من ذلك، او اتجاهله. لذلك لا بد للحل ان يكون شاملا، مع توفر امكانيات كثيرة بالنسبة لتأهيل اللاجئين في الاماكن التي يعيشون فيها، وبالنسبة لامكانية انتقالهم الى الدولة الفلسطينية، او التعويضات للاجئين.

من هـــو يوســـي بيـــلين؟

ولد يوسي بيلين في سنة ١٩٤٨ في تل ابيب، وفيها اكمل دراسته الجامعية وحصل على الدكتوراه في العلوم السياسية. بدأ نشاطه السياسي كناطق بلسان حزب «العمل»، ومساعدا لرئيس الحزب شمعون بيرس (١٩٧٧ – ١٩٨٤). بعد انتخابات البرلمان الحادي عشر اشغل منصب سكرتير الحكومة (١٩٨٤ – ١٩٨٦) ومديرا عاما سياسيا لوزارة الخارجية (١٩٨٦ – ١٩٨٨) ولعب دورا نشطا في نطاق مبادرات بيريس السياسية المختلفة. بعد ذلك اصبح نائبا في البرلمانين الثاني عشر والثالث عشر، ونائبا لوزير المالية (١٩٨٨ – ١٩٩٠) ونائبا لوزير الخارجية (١٩٩٢ – ١٩٩٥). كان مؤسس ورئيس جماعة «مشوف» ومن ابرز الوجوه في الجناح «الحمائمي» في حزبه.

منذ اواسط الثمانينات اقترح اقامة دولة فلسطينية في غزة كمرحلة اولى من تسوية تقوم على انسحاب الجيش الاسرائيلي من كافة الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧. ظل لسنوات طويلة يدعو الى اندماج حزب العمل ضمن «حزب ديمقراطي» يضم «راتس» («ميرتس» اليوم، بزعامة سريد) و «مبام» (حزب العمال الموحد المندمج في «ميرتس») و «شينوي» (برئاسة النائب يوسف لبيد اليوم) وتتخلى عن الرموز الاشتراكية. وبصفته مديرا عاما لوزارة الخارجية عمل على قطع العلاقات بين اسرائيل ونظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا. وفي فترة عمله نائبا لوزير المالية عمل على توثيق الصلة بين حزبه واحزاب «الحريديم» وكان من ابرز المبادرين الى اسقاط حكومة الوحدة الوطنية في اذار ١٩٩٠. كنائب لوزير الخارجية كان شريكا كبيرا في الاتصالات التي ادت الى اتفاقات اوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهناك من يعتبره المحرك الاساسي للاتصالات التمهيدية مع القيادة الفلسطينية، بمشاركة الاستاذين الجامعيين رون بونداك ويئير هيرشفيلد، وهي اتصالات حركت بيريس ورابين نحو مسار اوسلو واتفاقاته. بعد ذلك نادى بالانتقال سريعا الى مفاوضات على تسوية دائمة مع الفلسطينيين. في تموز ١٩٩٥ انضم الى الحكومة كوزير للاقتصاد والتخطيط، وفي نطاق صلاحياته كان شريكا في الاتصالات التي ادت فيما بعد الى ما يسمى بـ «تفاهمات بيلين – ابو مازن». في تشرين الثاني ١٩٩٥ بادر الى الغاء وزارة الاقتصاد والتخطيط وصار وزيرا بلا حقيبة في مكتب رئيس الحكومة (هناك من يرى انه كان بمثابة وزير خارجية في حكومة شمعون بيريس). بعد انتخابه للكنيست الرابعة عشرة في المكان الحادي عشر على لائحة حزبه، نادى باقامة حكومة وحدة وطنية. وفي كانون اول ١٩٩٦ اعلن عن تنافسه على قيادة حزبه ووصل الى المكان الثاني (٢٨.٥١٪ من الاصوات). في سنة ١٩٩٨ بدأ العمل بصورة حثيثة على تحريك عملية خروج الجيش الاسرائيلي من لبنان من جانب واحد. انتخب للبرلمان الخامس عشر (المرشح الخامس في قائمة «اسرائيل واحدة») وخرج منه في تشرين ثاني ١٩٩٩. في تموز من نفس العام عين وزيرا للعدل – اول وزير يشغل هذا المنصب من خارج حملة شهادة الحقوق – وكثيرا ما تصادم مع رئيس المحكمة الاسرائيلية العليا اهرون براك على ارضية اقتراحاته لادخال اصلاحات مختلفة في جهاز المحاكم. في اب ٢٠٠٠، وبعد خروج «شاس» من الحكومة، عين كذلك قائما باعمال وزير الاديان، وفي ١٠ تشرين الاول ٢٠٠٠ اصبح هذا التعيين ثابتا. بعد ذلك لعب دورا مركزيا في التوصل الى «شبكة الامان» التي قدمتها «شاس» لحكومة براك، وفي هذا السياق تراجع عن خطط سابقة له لتفكيك وزارة الاديان، وقد استقال من عضوية الكنيست لاتاحة المجال امام آخرين من قائمة حزب العمل لدخول البرلمان.

عمل بيلين محاضرا في جامعة تل ابيب والف عدة كتب في التاريخ والسياسة في اسرائيل.

تم التوصل لحل لها ان تأخذ على عاتقها لاجئين فلسطينيين. لكنه يظل منطقيا للغاية ان تقبل حلا يوفر الاجابات لمشاكل اللاجئين الفلسطينيين. وهي كثيرة جدا. بدءا بضرورة استيعابهم في مختلف الاماكن، وحل المشكلة المادية المقرونة بذلك. لا يجب على اسرائيل ان تتهرب من دورها في نطاق هذا الحل. لكن لا يمكن ان يكون الحل بعودة عدد كبير من الفلسطينيين الى اسرائيل. في الوقت ذاته، اعتقد انه من غير الانساني اغلاق هذه الدولة امام اناس «اجانب». هناك جوانب انسانية كثيرة لهذه القضية مثل لم شمل العائلات وغير ذلك من الحالات الخاصة. لست مع القائلين بمنع دخول اي فلسطيني لاسرائيل.

● هناك جوانب مبدئية مكملة للجوانب الانسانية التي تتحدث عنها في قضية اللاجئين الفلسطينيين. هل تؤيد ان تتحمل اسرائيل المسؤولية المبدئية عن نشوء مأساة اللاجئين، كمقدمة لتحمل دورها في نطاق حل هذه المشكلة؟

– لست مستعدا لذلك بأي حال من الاحوال. ارفض ان تتحمل اسرائيل المسؤولية عما حدث للاجئين، لكنني في ذات الوقت لا اعتقد ان اسرائيل قادرة على الهرب من هذه المسؤولية. بمعنى انها مسؤولية يتقاسمها اطراف كثيرون، وبضمنهم اسرائيل. لكنها ليست الطرف الوحيد. لو وافق الفلسطينيون على مشروع التقسيم من العام ١٩٤٧ لما كان هناك لاجىء واحد، ولاكتفت اسرائيل بأقل من عشرين بالمائة من المساحة. في هذه القضية اجد ان الجدل التاريخي الاسرائيلي – الفلسطيني منصب بكليته على السؤال: هل تبدأ الحياة مع قرار ١٨١ ام قرار ١٩٤؟ هذه هي الحكاية. شخصيا، القصة عندي تبدأ عند ١٨١، واقول: لو تم قبول مبدأ القرار ١٨١ لما كانت هناك حاجة للقرار الثاني. لكن ذلك لم يحدث للاسف الشديد، ولا يمكنني تجاهل ذلك.

● بموجب كتابات بعض «المؤرخين الجدد»، يبدو انه كان لا بد من انقضاء وقت طويل جدا حتى يتبين الرأي العام الاسرائيلي حقيقة المزاعم

> **مسألة المستوطنات بحثت في كامب ديفيد، وكانت هناك موافقة فلسطينية شكلية على اطار للحل. ومع ان ذلك تم بموجب خطة كلنتون، الا ان المصدر كان تفاهمات بيلين - ابو مازن. هذه التفاهمات ايضا هي مصدر التفاهم المبدئي حول تبادل الاراضي بين اسرائيل وفلسطين.**

الاسرائيلية حول قرار التقسيم والرفض العربي له. هناك من بين هذه الفئة من المؤرخين من يؤكد بناء على المزيد من الوثائق التريخية عن المرحلة ان القيادة الصهيونية بالذات، وبرأسها بن غوريون، لم تكن معنية بأن يقبل العرب قرار التقسيم، لأنها لك تكن «قانعة» بالمساحة التي خصصتها الامم المتحدة للدولة اليهودية (٢٠٪ من الارض). هناك باحثون فلسطينيون يؤكدون ذلك ايضا. اي ان الرفض كان متبادلا، واحد علني واخر «مموه». وفي ذلك ما يقلب «نظرية المسؤولية» لديك رأسا على عقب..

– لم أطلع على مثل هذه الابحاث، لكنني اقول لك: لا استطيع انكار وجود مثل هذه التوجهات لدى القيادة الصهيونية، التي تمنت ان يتخذ العرب جانب الحماقة وان يرفضوا قرار ١٨١. التاريخ علّمنا للاسف انهم كانوا كذلك. ثمة مقولة في اسرائيل تؤكد على ان العرب انقذونا من الكثير من الاخطاء، بأن رفضوا مختلف المقترحات المطروحة للحل. كان هناك اقتراح في لوزان بعودة مائة الف لاجيء، لكن العرب رفضوه. لا انكر ان اسرائيل ارتكبت اخطاء معينة برفضها لمختلف مقترحات الحلول، لكنني افترض انه كان هناك يهود في قيادة «الييشوف» ممن تمنوا ان يحدث ما حدث، وان يظل العرب على رفضهم قرار التقسيم.

«الفصل» فكرة سيئة وضارة

● **ما رأيك بفكرة «الفصل» المطروحة اليوم من الجانب الاسرائيلي كمقدمة للحل، بموجب نظرية: «نحن هنا، وهم هناك»؟**

– هذه فكرة بائسة وسيئة للطرفين. اعتقد ان التعاون الاسرائيلي – الفلسطيني في المستقبل، رغم صعوبته اليوم، هو الامل الكبير للشعبين. هناك مجال للتفكير بنوع من الفدرالية او الكونفدرالية بين الجانبين، وهي افكار آمن بها القائد الفلسطيني الراحل فيصل الحسيني بشكل خاص. هناك اكثر من وجه شبه وقرابة بين الشعبين، اكثر بكثير مما نحن على استعداد للاعتراف به. الحدود بيننا اشكالية جدا. اية حدود يمكن ان تنشأ ستكون كذلك. لاسفي الشديد ستظل اسرائيل مصدر معيشة الكثير من الفلسطينيين لمدة طويلة جدا. لا يمكننا ان نحرمهم من ذلك، على رغم كونه «غير صحي» على الامد البعيد. ضمن المعطيات الحالية، اجدني افضل العامل الفلسطيني على غيره. وسيكون موقفا انسانيا ان نسمح بذلك. الاسواق مشتركة، والصلة حميمة، بحيث يبدو الفصل ازاءها شيئا مصطنعا. الفصل هو تعبير عن ظاهرة الخوف – خوف كل طرف من الاخر. مع الفصل ايضا لن تتوصل الى الحل المستجيب لمتطلباتك، مثلا: في حال اتخاذ الفصل من جانب واحد: كيف لي ان اضمن الا تكون الدولة الفلسطينية مع سلاح، وبقية الترتيبات الامنية؟ اي ان المصلحة الاسرائيلية لا تكمن في خلق هذا الفصل الاحادي الجانب..

● **هناك صيغة يمينية معروفة في هذا السياق، وهي ان الفصل غير ممكن نظرا لوجود قرابة المليون فلسطيني في اسرائيل. وبالنسبة للعرب هنا، فان الحديث عن الفصل يعني ترحيلهم من اماكنهم، في صالح فكرة رهيبة. ماذا تقول؟**

– لا اعتقد ان احدا من قادة اسرائيل اليوم يعرض ذلك. ومن يفعل ذلك، فهو غير منطقي ومرفوض.

● **المخاوف في الجانب العربي، اساسا..**

– لم اسمع احدا يتحدث عن فصل يشمل العرب في اسرائيل..

● **هناك اساتذة جامعات كثيرون يقولون ذلك اليوم بوضوح. ارنون سوفير من جامعة حيفا يتحدث باستمرار عن «الخطر الديموغرافي» ويعرض «تقليل الكثافة السكانية في المثلث بنقل سكان ام الفحم – وليس المنطقة – مثلا الى الدولة الفلسطينية، مقابل استرجاع مستوطني الون موريه وقدوميم على سبيل المثال . هناك ايضا زئيفي وغيره، وهو وزير في حكومة الوحدة ونائب في البرلمان.**

– مصلحتنا الان وكل الوقت المحافظة على بقاء اسرائيل دولة يهودية، لكن مصلحتنا لا تعني الاحتفاظ بها «نظيفة» من غير اليهود. الحدود هنا دقيقة جدا بين الحديث عن دولة يهودية، والحديث عن دولة لليهود فقط. محاولة خلق دولة القومية من دون اقلية تبدو لي نوعا من الحماقة. عدا عن ذلك، نحن امام واقع قائم، فهل يعقل ان يقترح احد في القرن الواحد

لو سألت الاسرائيليين في استطلاعات الرأي لأدركت ان الاغلبية هنا مع السلام. مع ان المنطق يقول ان هناك تناقضا بين الرغبة بالسلام وتأييد شارون. عرفات شخصيا قال للاسرائيليين عودا الى استطلاعات الرأي العام لتتأكدوا كيف ان جمهوركم بغالبيته يريد السلام، وهذا صحيح بنظري.

والعشرين نقل ام الفحم الى مكان آخر؟ مع ذلك، وكما اسلفت، فإن التوازن الديموغرافي يلعب دورا حاسما بالنسبة لي. هذا هو السبب الاساس الذي جعل اشخاصا مثلي يؤيدون كل الوقت حلا يقوم على تقاسم الارض والعودة الى حدود ١٩٦٧ بهذا الشكل او ذاك. لانني اعرف ان اسوأ ما يمكن ان يحدث لنا ان تواصل اسرائيل سلطتها على شعب اخر لا يرغب بذلك، لكن عندما يدور الحديث عن خمسة ملايين يهودي مقابل مليون عربي، لا يجب على مثل هذا الوضع ان يفقدنا الصواب. بن غوريون قال على الدوام ان الامتحان الاكبر لدولة اليهود كامن في معاملتها لغير اليهود. وهذا صحيح اليوم. لو جئنا الى مواطنينا العرب الذين يعيشون هنا منذ مئات السنين وقلنا لهم اذهبوا الى هناك، فستكون تلك نهاية العالم.

● **مؤخرا تردد ان حزب العمل قد يدخل تعديلا على برنامجه السياسي، في البند المتعلق بالقدس، يقول ان «الاحياء اليهودية فقط من المدينة تعد عاصمة اسرائيل الابدية، والاحياء العربية عاصمة لدولة فلسطين». ماذا وراء هذا التعديل، وما هي احتمالاته؟**

– هذه هي خطة كلينتون، والسؤال اذا ما كان علينا بعد ان قطعنا شوطا طويلا نحو هذه الخطة العودة الى تبني المفهوم السياسي الذي ساد من قبل، وجوابي بالنفي. لان شيئا حدث هنا. لا يمكن تجاهل ذلك، وسيكون من الغباء العودة للوضع الذي كان قبل ذلك. لقد وافقنا عليها، والتعديلات في برنامج حزب العمل لا بد ان تعكس ذلك. لا بد ان يكون لدينا برنامج سياسي يتفق مع الطروحات التي تبنيناها وتمسكنا بها في عهد حكومة باراك. رغم اننا ما زلنا عالقين مع شارن، ومن دون برنامج سياسي. نحن حزب مختلف، ولم نوافق ابدا على تبني المفهوم اليميني المتطرف الذي يعبر عنه شارون، حتى لو ان حزب العمل ارتكب خطأ الانضمام الى تحالف قومي معه.

● **كيف تبدو لك آفاق «معسكر السلام» في مواصلة المسيرة نحو الحل بينما نجده شريكا في تحالف ذي رأسين، ضمن حكومة شارون، رغم انه من الواضح له وللجميع ان الاهداف مختلفة؟**

– هذا امر صعب جدا، مع ذلك افترض ان اشخاصا مثل شمعون بيريس بانضمامهم للتحالف الوطني كانوا راغبين بمنع انحراف السياسة الاسرائيلية نحو المزيد من التطرف. وهم يشعرون بأنهم من يضمن اليوم ان تبقى السياسة معقولة. يمكنني ان احترم مفاهيمهم، لكن لا اوافق عليها. كذلك اعرف ان قسما من الفلسطينيين فضل رؤية بيريس في حكومة مع شارون على رؤية شارون لوحده. العالم ايضا توصل لنفس الاستنتاج. رغم الصعوبة الكامنة في رؤية شمعون بيرس يجلس سوية في حكومة واحدة مع شارون.

محدودية حكومة برأسين

× اداء بيريس في حالات معينة يبدو مصدر راحة كبرى لشارون، فهو وزير خارجيته ومن يتولى «بيع» سياسته تجاه الفلسطينيين للرأي العام العالمي.

– اعتقد ان شارون ما كان ليفعل اشياء متطرفة حتى لو لم يكن حزب العمل شريكه في الحكومة. لا اؤمن ان شمعون بيريس من يمنع شارون من القيام بخطوات متطرفة على حلبة الصراع، كالخروج للحرب مثلا. اعتقد ان مشكلة بيريس كامنة في كونه يمنح الشرعية لما فعله شارون في الماضي. وهذا ما يؤلمني جدا. آمل جدا ان يتحول هذا الامر الى ظاهرة عابرة خلال فترة قصيرة، وينتهي جلوس حزب العمل في حكومة برئاسة شارون.

● **يتفق كثيرون على وجود ازمة يمر بها اليسار الاسرائيلي الصهيوني، وحزب العمل. هل السبب هو الخسارة في الانتخابات؟ جذور الازمة كانت قبل صعود شارون للحكم. في عهد باراك ايضا كانت ازمة. السؤال هو: حزب العمل واليسار الى اين؟**

– اعتقد ان حزب العمل هو العامل الديمقراطي اللبرالي في المجتمع الاسرائيلي، وسيتقوى جدا بعد انتخاب قائده الجديد، الذي ارجو ان يكون ابراهام بورغ، حتى يتمكن من طرح البديل الحقيقي للمفهوم السياسي لدى الليكود وشارون، وهو البدليل الصهيوني القائل ان حل المشكلة الفلسطينية هو حل للمشكلة اليهودية. الحل الذي يرى انه ليس بالضرورة ان يجلب اي حل يهودي ضررا للفلسطينيين، او ان يكون كل ما هو جيد للفلسطينيين ضارا باسرائيل. اعتقد ان هذا هو الفارق الكبير بيننا وبين

اذا كان الحلم الصهيوني اقامة دولة تكون مع اغلبية يهودية وقيم ديمقراطية ليبرالية وانسانية، فهو قابل للتحقق فقط في دولة اصغر من مجال سيطرة السلطة الاسرائيلية الحالي. لذا فان قيام دولة بجانبنا هو جزء من تحقق الحلم القومي الديمقراطي.

اليمين، الذي يرى ان اي شيء يريده الفلسطينيون يعد سيئاً لاسرائيل. نحن نقول من ناحيتنا انه اذا لم تنشأ هنا دولة فلسطينية تعبر عن حق تقرير المصير للفلسطينيين فستنشأ علامة سؤال كبيرة على مفهوم الدولة اليهودية. نحن نرى ان الحل اليهودي الاسرائيلي الفلسطيني امر انساني، وهو جزء من مفاهيم تقدس قيمة الانسان، وهو امر قومي لانه ضمان الاغلبية اليهودية ممكن فقط بواسطة دولة اصغر، تعيش بجانبها دولة تتعايش معها بسلام، وتكون مدركة للمزايا التي يمكن ان تحصل عليها من السلام والجيرة الحسنة معنا. لا اعتقد ان هناك ازمة تجاه هذا المفهوم. الازمة التي حدثت تعمقت في الاساس بعد اندلاع الانتفاضة وما ثار في اعقابها من علامات السؤال في معسكر السلام تجاه القيادة الفلسطينية، بعد ان وعدت بحل كل الخلافات بالطرق السلمية، ولكن العنف جعل هذا المعسكر يستنتج انه لا يستطيع الجمع بين العنف والرغبة في التوصل الى تسوية لنهاية الصراع.

«الشركاء» موجودون في الجانبين

● **في السنوات الاخيرة سمعناك تقول ان «الدولة الفلسطينية هي عجلة انقاذ الدولة اليهودية» – هل تفسر ذلك؟**

– اذا واصلت اسرائيل السيطرة في المنطقة الواقعة بين النهر والبحر، فستتحول الى طرف يتحكم بشعب اخر خلافا لإرادته. وهي كذلك منذ اليوم، ولذلك تدفع ثمنا باهظا جراء ذلك، على الصعيد النمطي والاخلاقي والايديولوجي. وسيأتي يوم يرتفع فيه هذا الثمن، وهو ما لا نقبل به منذ اليوم. لذلك، اذا كان الحلم الصهيوني اقامة دولة تكون مع اغلبية يهودية وقيم ديمقراطية ليبرالية وانسانية، فهو قابل للتحقق فقط في دولة اصغر من مجال سيطرة السلطة الاسرائيلية الحالي. لذا فان قيام دولة بجانبنا هو جزء من تحقق الحلم القومي الديمقراطي. بالطبع من لا يملك حلما كهذا لن يكون بحاجة لهذه الدولة. كل من لا يتوقف حلمه عند حدود القومية بل هو ديمقراطي وليبرالي، تصبح الدولة الفلسطينية جزءا من مصلحته القومية. وفي ذلك، فاننا لا نعمل معروفا مع احد.

● **يدعون في اسرائيل اليوم بعدم وجود «شريك فلسطيني» للحل. هل توافق على هذه المزاعم، التي يشترك فيها قادة من حزبك ايضا؟ كيف تقيّم علاقاتكم بالقيادة الفلسطينية؟**

– نحن لم ننتخب القيادة الفلسطينية، ولا يمكننا الغاؤها او فرض قيادة بديلة على الشعب الفلسطيني. كل الوقت بحثنا عن شريك – بديل فلسطيني للسلام. ولم نجد شريكا اخر، لا في هيئة الملك حسين ولا رئيس بلدية الخليل الجعبري ولا في رئيس روابط القرى مصطفي دودين. ولا القيادة الفلسطينية المحلية، التي لم تكن مستعدة لأن تكون شريكنا في الحل. الشريك الفلسطيني الوحيد الذي توصلنا اليه هو منظمة التحرير الفلسطينية، وقد كان ذلك صعبا علينا في البداية. مع الوقت، استوعب الناس ذلك. واعتبروا عرفات – من كان في السابق عدونا الاكبر – قائدا لجيراننا. لكن، في صلب الموضوع، فان الانتفاضة صفعة مدوية لنا. من دون الدخول في اسبابها. وحقيقة اننا بعد اتفاق الجانبين توصلنا الى هذا الحجم الفظيع من العنف امر اشكالي جدا ويطرح علامات سؤال صعبة تجاه الفلسطينيين وكذلك تجاه الاسرائيليين، ويمكنني ان افهم ذلك. لكن، بعد كل هذه التساؤلات لا يمكن تجاهلها. وفي الوقت ذاته اسأل: مَن لديه البديل الافضل، من الطرفين؟ اعتقد انه لا يمكننا رغم كل شيء الغاء الشريك الفلسطيني. يمكننا تعلم الدرس، وتوجيه الاستفسارات، لكنه يظل عنواننا. والقرار في من سيكون القائد عائد للفلسطينيين، وليس لنا. وقرارهم واضح جدا: ياسر عرفات. لذلك فهو الشريك، وهو موجود، الا اذا توصل بنفسه الى استنتاج لم يصل اليه بعد اننا لسنا الشريك.

● **«الشريك» المطلق لدى ياسر عرفات في مثل هذه الازمات هو معسكر السلام الاسرائيلي، وهو ما زال يراهن عليه..**

– هذا رهان مضمون للغاية، هناك معسكر سلام كبير جدا في اسرائيل، لكنه يشعر بالاحباط والالم، ورغم مصابه، ما زال مؤمنا بالسلام. في نهاية الامر سنتوصل الى سلام معه. بنفس القدر الذي اؤمن فيه بوجود معسكر سلام فلسطيني.

● **ما هي فرص حكومة الوحدة الوطنية الاسرائيلية للخروج من المأزق**

الفصـــل هو تعبـــير عن ظاهـرة الخوف - خوف كل طـــرف من الاخـــر. مع الفصل ايضا لن تتوصل الى الحل المســـــتجيب لمتطلبــــاتك.

الراهن؟ لنفترض ان تقرير ميتشيل وكذلك توصيات تينت طبقت بالكامل، من جانب الطرفين. وماذا بعد؟ ما هي فرص الحل مع حكومة برأسين؟

– سبق ان قلت لك ان اي طرف لا يختار شريكه. هذا هو الوضع الحالي اليوم. شارون هو رئيس الحكومة، وهناك حكومة وحدة وطنية، والسؤال الذي لا بد من طرحه هو: كيف يمكن في الاوضاع المستجدة الاقتراب اكبر قدر ممكن من فرصة التحاور السياسي. وهناك سؤال اخر: هل اذا وصلنا الى لحظة الحقيقة سيكون شارون قادرا على «توفير البضاعة»، والتوصل الى تسوية دائمة، في وقت يتحدث فيه بنفسه عن تسويات مرحلية لا عن حل دائم. اشك كثيرا في انه سيكون قادرا على الاستجابة للتطلعات. لكنني لا اريد ان استسلم، فهو اليوم رئيس حكومة اسرائيل، ودوري كرجل في معسكر السلام ان احاول اقناعه مع غيره من خلال نشاط جماهيري وغيره للتوصل الى لحظة الحقيقة هذه، والعودة الى مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين، والتحدث بصورة جوهرية عن حلول.

● اين تقف المفاوضات مع الفلسطينيين الان، وما هي احتمالات تجديدها في ضوء تواصل مسلسل العداء وارتفاع منسوب التحريض والدعوات للحرب والانتقام، كما يعبر عنها غلاة المتطرفين من بين المستوطنين وحلفائهم في الحكومة الاسرائيلية؟

– لو عاد باراك للسلطة لكانت هناك عودة الى محادثات طابا. في نهاية المطاف، حكومة شارون ملزمة بالاتفاقات الموقعة. لكن هذه الاتفاقات تحدثت عن جداول زمنية انتهت، بالنسبة للاتفاقات المرحلية وبالنسبة للتسوية الدائمة. عندما نصل الى لحظة يصحو فيها الطرفان ونعود الى التفاوض، سيضطران اولا لحسم موعد تطبيق «النبضة الثالثة» (للإنسحاب من الضفة) والتوصل الى اتفاق دائم. اعتقد ان ذلك سيكون محور التفاوض بينهما. ولانه لم يكن هناك اتفاق موقع لا في كامب ديفيد ولا في طابا، فان شارون غير ملزم بالعودة الى نفس النقاط. نتنياهو مثلا لم يحترم اتفاقية اوسلو وأجل تنفيذ النبضات. في مرحلة معينة من المفاوضات الاخيرة قلنا للفلسطينيين انه اذا لم نتوصل الى اتفاق موقع، فلن نكون ملزمين بأي شيء اتفق عليه مبدئيا. انا اريد العودة الى طابا، لكنني لا استطيع القول ان شارن لو رفض العودة الى حيث انتهينا يكون ارتكب خرقا للاتفاق. يمكنني ان اضغط عليه للعودة الى طابا، او الى روح طابا، او ان يقبل خطة كلينتون، لكن لاسفي الشديد لا يوجد لدينا التزام مكتوب بذلك، يلزمه بمواصلة ما بدأناه. لذلك، وردا على سؤالك حول النقطة التي تقف عندها المفاوضات اقول: انها عالقة عند السؤال: متى ستنفذ النبضة الثالثة ومتى سنتوصل للاتفاق الدائم، وكيف سنبدأ المفاوضات حول هذا الحل. اشك كثيرا في ان يكون شارون اليوم مستعدا للعودة الى الاتفاق الدائم، مع ذلك لا اريد ان اتنازل له سلفا عن ذلك.

● يتسلى بعض المعلقين باجراء مقارنات بين شارون وديغول، وهناك من يقول انه مثل نابليون بونابرت، ولا بد ان يضع نهاية (سيئة) للمشروع الصهيوني كله، بمواصلة مخططه لفرض حل سياسي على الفلسطينيين وربما على السوريين، يدمج بين القوة من جهة والتوجه السياسي القائم على التوسع ومواصلة الاحتفاظ باراضي الغير، من جهة اخرى. كيف تنظر الى ذلك؟

– بشكل عام، عندما يصل انسان الى منصب رئيس حكومة، لا بد ان يدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه. وذلك يشمل حتى من جاء من مفاهيم مناقضة لمفاهيمي، ففي هذه الحالة يتصرفون خلافا لمفاهيمهم الاصلية. اشياء كثيرة قالها شارون معارضا ما كان ليعود لقولها او فعلها اليوم. من هذه الناحية لن اصفق له، فهذا امر طبيعي. اجمالا، كل من يمسك بمقود السلطة يمر بمثل هذا التغير الطبيعي، وانا اريد ان اصدق انه يتغير.

● كيف ستبدو الحلبة السياسية في المرحلة القادمة؟ ما هي تصوراتك؟

– ذلك متعلق جدا بموضوع العنف. اذا تواصل العنف بنفس الوتيرة السابقة سيكون من الصعب جدا ان نضمن التوصل الى نقاش جاد وموضوعي في الخلافات لدى الطرفين. كلما تأجلت لحظة الحقيقة هذه، ستكون احتمالات الوحدة الوطنية لدى الجانبين اعلى. وهو وضع مريح للمتطرفين من الجانبين. في هذه الحالة لن نتوصل الى شيء. ويهمني ان نتوصل الى وضع عكسي: الى تحالف قوى السلام الحقيقية في الطرفين. حاليا، لا اعرف ما هي احتمالات ذلك.